درس بعنوان: شرح رسالة كشف الشبهات (الدرس الحادي عشر)

لفضيلة الشيخ الدكتور/ عبد العزيز بن أحمد البداح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين قال المؤلف غفر الله له ولشيخنا والحاضرين: (إذا تحققت أن الذي قاتلهم رسول الله ﷺ أصح عقولًا وأخف شركًا من هؤلاء فاعلم أن لهؤلاء شبهة يوردونها على ما ذكرنا وهي من أعظم شبههم فاصغ سمعك لجوابها).

هذه بعد بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد..

فهذه هي الشبهة السادسة من الشبهات الفرعية عند المشركين، وقد أطال المؤلف رحمه الله في نقضها من ثمانية وجوه لأهمية ذلك.

(وهي أنهم يقولون إن الذين نزل فيهم القرآن لا يشهدون أن لا إله إلا الله ويكذبون الرسول ﷺ وينكرون البعث ويكذبون القرآن ويجعلونه سحرًا ونحن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ونصدق القرآن ونؤمن بالبعث ونصلي ونصوم فكيف تجعلوننا مثل أولئك) فهذه هي الشبهة أنهم يقولون إن الذين نزل القرآن بتكفيرهم هم الذين لا يشهدون ألا إله إلا الله ويكذبون بالرسول وينكرون البعث ونحن نشهد ألا إله إلا الله ونؤمن بالرسول ونصدق بالبعث فنحن لسنا كأولئك والرد عليهم:

(فالجواب ألا خلاف بين العلماء كلهم أن الرجل إذا صدق رسول الله ﷺ في شيء وكذبه في شيء أنه كافر) هذا هو الوجه الأول في الرد عليهم وهو أن من آمن ببعض خبر النبي ﷺ وكذب ببعضه فهو كافر وهذه المسألة ترجع إلى أن الإيمان يجب أن يكون بالدين كله ولهذا يقول الله عز وجل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً ...﴾[البقرة:٢٠٨] ومعنى السلم على قول طائفة من المفسرين وهو الذي استظهره الطبري رحمه الله يعني الإسلام والمراد بالدخول في الإسلام هنا يعني الخضوع لأوامره وفرائضه وشرائعه، فإذا آمن ببعض خبر الرسول وكفر ببعض فإنه يكفر باتفاق أهل العلم، وقد نقل ابن بطة العكبري في كتابه الشرح والإبانة على أن من رد بعض منا جاء به النبي فإنه كافر باتفاق العلماء.

(أنه كافر لم يدخل في الإسلام وكذلك إذا آمن ببعض القرآن وجحد بعضه كمن أقر بالتوحيد وجحد وجوب الصلاة أو أقر بالتوحيد والصلاة وجحد وجوب الزكاة) هذا فيمن أنكر بعض أو أنكر ما هو معلوم من دين الإسلام بالضرورة هذه المسألة تسمى إنكار ما هو معلوم من الدين بالضرورة، وما المراد بالمعلوم من الدين بالضرورة؟ يعني ما علم متواترًا ظاهرًا يعلمه الخاص والعام وأجمع العلماء عليه إجماعًا قطعيًا المراد بالمعلوم من الدين بالضرورة يعني ما عرف ظاهرًا متواترًا يعلمه العام والخاص وأجمع عليه العلماء إجماعًا قطعيًا، كوجوب الصلوات الخمس ووجوب صيام رمضان ووجوب الحج وتحريم الزنا وتحريم الخمر فمن جحد ذلك فقد كفر بإجماع أهل العلم، وقد نقل ابن تيمية رحمه الله في مجموع الفتاوى إجماع أهل العلم على كفر من أنكر أو جحد ما علم وجوبه أو تحريمه من دين الإسلام بالضرورة.

(أو أقر بهذا كله وجحد الصوم أو أقر بهذا كله وجحد الحج ولما لم ينقد أناس في زمن النبي ﷺ للحج أنزل الله في حقهم ﴿... وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾[آل عمران:٩٧] ومن أقر بهذا كله وجحد البعث بالإجماع وحل دمه وماله كما قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا * أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا ...﴾[النساء:١٥٠-١٥١])
فمن آمن بنبي وجحد نبوة نبي آخر فهو كافر باتفاق المسلمين، قد نقل شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة أن أهل الإسلام متفقون على كفر من آمن بنبي وأنكر نبوة نبي آخر وقد نقل شيخ الإسلام ابن تيمية إجماع أهل الإسلام أو اتفاق أهل الإسلام على كفر من آمن بنبي وجحد نبيًا آخر وقد قال الله عز وجل ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾[الشعراء:١٠٥] وقال في الآية الأخرى ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ ...﴾[الفرقان:٣٧] وهم هنا إنما كذبوا نوحًا عليه السلام ومع ذلك قال الله عز وجل في الآية الأولى المرسلين وقال في الآية الثانية الرسل لأن تكذيب نبي واحد تكذيب للأنبياء جميعًا الله عز وجل قال ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾[الشعراء:١٠٥] وقال في الآية الأخرى ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ ...﴾[الفرقان:٣٧] وهم لم يكذبوا إلا نوحًا عليه السلام ومع ذلك قال الله عز وجل في الآية الأولى المرسلين وقال في الآية الثانية الرسل، لأن تكذيب نبي من الأنبياء تكذيب للأنبياء جميعًا.

(فإذا كان الله قد صرح في كتابه أن من آمن ببعض وكفر ببعض فهو كافر حقًا زالت هذه الشبهة وهذه هي التي ذكرها بعض أهل الإحسان في كتابه الذي أرسله إلينا ويقال أيضًا) هذا الجواب

الأول انتهى منه المؤلف وهو أنه يجب الإيمان والدخول في الإسلام كافة، وأن التزام بعض الشرائع الدين والكفر بالبعض الآخر مما يكون جحده أو تركه كفرًا أنه لا يمنع من التكفير، الوجه الثاني:

(ويقال أيضًا إذا كنت تقر أن من صدق الرسول ﷺ في كل شيء وجحد وجوب الصلاة فهو كافر حلال الدم والمال بالإجماع كذلك إذا قر بكل شيء إلا بالبعث وكذلك لو جحد وجوب صوم رمضان وكذب بذلك كله لا يجحد هذا ولا تختلف المذاهب فيه وقد نطق به القرآن كما قدمنا فمعلوم أن التوحيد هو أعظم فريضة جاء بها النبي ﷺ هو أعظم من الصلاة والزكاة والصوم والحج فكيف إذا جحد الإنسان شيئًا من هذه الأمور كفر ولو عمد بكل ما جاء به الرسول ﷺ وإذا جحد التوحيد الذي هو دين الرسل كلهم لا بكفر سبحان الله ما أعجب هذا الجهل) في الوجه الثاني أن من صدق الرسول وجحد وجوب الصلاة أو وجوب الصيام أو وجوب الحج فإنه يكفر عند هؤلاء المخالفين، فإذا كان يكفر عندهم بجحده للصلاة أو الصيام أو الحج أفلا يكفر بجحده لأصل الدين وأساس الملة وهو التوحيد؟ بلى يكفر.

(ويقال أيضًا) هذا الوجه الثالث في الرد على الشبهة السادسة.

(هؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ قاتلوا بني حنيفة وقد أسلموا مع النبي ﷺ وهم يشهدون ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ويؤذنون ويصلون) كانت الردة بعد النبي ﷺ على ثلاثة وجوه، الوجه الأول ترك الإسلام والرجوع إلى عبادة الأوثان، الوجه الثاني الإيمان بنبوة مسيلمة والعنسي وهؤلاء أجمع الصحابة رضي الله عنهم على قتالهم، الوجه الثالث من منع الزكاة وقاتل عليها وهؤلاء حصل بين الصحابة رضي الله عنهم خلاف في قتالهم ثم حصل الإجماع على قتالهم، فتلخص من هذا أن الردة بعد النبي ﷺ كانت على ثلاثة وجوه الوجه الأول الذين تركوا الإسلام ورجعوا إلى عبادة الأوثان الوجه الثاني الذين آمنوا بمسيلمة والعنسي وهؤلاء جميعًا أجمع الصحابة رضي الله عنهم على قتالهم الوجه الثالث الذين منعوا الزكاة وقاتلوا على ذلك وهؤلاء حصل خلاف في أول الأمر على قتالهم ثم أجمع الصحابة رضي الله عنهم على قتالهم.

(فإن قال إنهم يقولون إن مسيلمة نبي قلنا هذا هو المطلوب إذا كان من رفع رجلًا إلى رتبة النبي ﷺ كفر وحل ماله ودمه ولم تنفعه الشهادتان ولا الصلاة فكيف بمن رفع شمسان أو يوسف أو صحابيان) شمسان هذا شخص اسمه محمد بن عيسى المغربي قدم من بلاد المغرب في القرن الحادي عشر الهجري وأقام في الخرج من اليمامة من نجد وولد له شمسان هذا وذاع صيته وكان

يعتقد فيه وقد ذكر الشيخ محمد بن عبد الوهاب شمسان هذا في أكثر من موضع من كتبه، شمسان قدم محمد بن عيسى المغربي من بلاد المغرب واستقر في الخرج من اليمامة من نجد في القرن الحادي عشر الهجري وولد له شمسان وشمسان هذا ذاع صيته وكان يعتقد فيه وقد ذكر الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله شمسان هذا في أكثر من موضع من كتبه، أما يوسف فقد ذكر الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله أن يوسف هذا رجل له قبر وعليه قبة ويعتقد فيه وأنه إما في الأحساء أو في الكويت، وقد ذكر الشيخ محمد بن عبد الوهاب أسماء جملة من هؤلاء الذين كان الناس يعتقدون فيهم في زمانه من هؤلاء وأمثالهم.

(فكيف بمن رفع شمسان أو يوسف أو صحابيًا أو نبيًا إلى رتبة جبار السماوات والأرض سبحان الله ما أعظم شأنه ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾[الروم:٥٩]) هذا الوجه مضمونه أن الصحابة رضي الله عنهم أجمعوا على تكفير وقتال من ادعى نبوة مسيلمة فإذا كانت الصحابة رضي الله عنهم قاتلوا وكفروا من رفع مسيلمة إلى مرتبة النبوة فكيف بمن رفع غيره إلى مرتبة الألوهية والربوبية، وهذا الوجه واضح وظاهر.

(ويقال أيضًا الذين حرقهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالنار كلهم يدعون الإسلام وهم من أصحاب علي رضي الله عنه) هذا الوجه الرابع وهو فعل علي رضي الله عنه في السبأية والسبأية هم أتباع عبد الله بن سبأ اليهودي، قيل أنه من الحيرة في العراق وقيل أنه من صنعاء وهذا هو الراجح وقيل أنه رومي، جاء في خلافة عثمان رضي الله عنه وتظاهر بالإسلام وكان ممن أثار الفتنة في زمن عثمان رضي الله عنه وأرضاه فلما كانت خلافة علي بن أبي طالب غلا في علي رضي الله عنه فادعى أنه وصي النبي ﷺ وأنه خير الأوصياء ثم ادعى فيه الألوهية وقال إن الرعد صوته والبرق تبسمه إلى غير ذلك مم ادعى، ثم ادعى رجعته ادعى رجعة علي بن أبي طالب وقال إنه ما مات بل إنه سيرجع إلى الأرض وقال مقولة مشهورة لو جئتم بدماغه في صرة يعني علي بن أبي طالب رضي الله عنه لما صدقنا بموته، عبد الله بن سبأ شخصية حقيقية وقد ذكره كتب الرافضة وأثبتوا ذلك وكذلك أيضًا أهل السنة، وأنكره بعض المستشرقين وبعض الباحثين العرب تبعًا لهم لكن الحق أن عبد الله بن سبأ شخصية حقيقية وأنه مذكور في كتب القوم أصلًا، أما قصة تحريق علي بن أبي طالب للسبأية فقد روى البخاري عن عكرمة أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أتي بزنادقة فحرقهم، وابن حجر في الفتح ساق قصة التحريق وقال: (إن الناس جاؤوا إلى علي بن أبي طالب وقالوا له إن قومًا خارج المسجد يدعون أنك ربهم فدعاهم علي

فقال ويلكم ما تقولون قالوا أنت ربنا وخالقنا ورازقنا فقال إنما أنا بشر مثلكم آكل كما تأكلون وأشرب كما تشربون فارجعوا عما تقولون فراجعهم فلم يرجعوا فأمر بالأخاديد فخدت ثم حرقهم بالنار) وتمثل المشهور عنه لما رأيت الأمر أمرًا منكرًا أججت ناري ودعوت قنبرا، وهذه القصة حسن إسنادها الحافظ ابن حجر في فتح الباري بل إن هذه قصة تحريق السبأية ذكرتها حتى كتب الرافضة فالكليني في كتابه الكافي وهو أصل معتمد عندهم ذكر هذه القصة وذكرها أيضًا غيره.

(ويقال أيضًا الذين حرقهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالنار كلهم يدعون الإسلام وهم من أصحاب علي رضي الله عنه وتعلموا العلم من الصحابة ولكن اعتقدوا في علي مثل الاعتقاد في يوسف وشمسان وأمثالهما فكيف أجمع الصحابة على قتلهم وكفرهم أتظنون أن الصحابة يكفرون المسلمين أم تظنون أن الاعتقاد في تاج وأمثاله لا يضر والاعتقاد في علي بن أبي طالب يكفر ويقال أيضًا بنوا عبيد القداح) هذا الوجه الخامس بنوا عبيد بن القداح عبيد الله بن ميمون القداح جدهم يهودي وهم من الباطنية الذين عرفوا بالكيد للإسلام والحقد على المسلمين، وهذه الدولة العبيدية قامت في المغرب ومصر وكانت بدايتها سنة ثلاثمئة واثنين وستين وانتهت سنة خمسمئة وسبع وستين، وهذه الدولة كان لها آثارها على عقيدة المسلمين فإنها أحدثت جملة من العقائد المنحرفة كالبناء على القبور وتعظيم المشاهد والاحتفال بالموالد فكانوا هم أول من ابتدع بدعة المولد النبوي وهم أيضًا من أول من اهتموا بالمشاهد والبناء على القبور وهم أيضًا من أوائل من أظهروا وجاهروا بسب الصحابة رضي الله عنهم وممن قالوا بالتناسخ إلى غير ذلك من العقائد المنحرفة، وحملوا الناس على ذلك وامتحنوهم ولهذا قتلوا خلقًا كثيرًا من أهل الإيمان والصلاح والعبادة وقد قيل أن عبيد الله وبنيه قتلوا أكثر من أربعة آلاف ما بين عالم وعابد امتنع عن سب صحابة رسول الله ﷺ وهؤلاء من كفرهم وضلالهم أن بعضهم ادعى النبوة وبعضهم ادعى الألوهية وبعضهم كان يأمر الناس بالسجود له وأظهروا سب الصحابة وجهروا بذلك وقالوا بعقيدة التناسخ إلى غير ذلك مما اعتقدوه، وقد بين حالهم كثير من مؤرخي الإسلام كابن كثير وابن الأثير وابن تيمية وغيرهم من أئمة الإسلام وقد قيل فيهم المقولة المشهورة إن ظاهر مذهبهم الرفض وباطنه الكفر المحض، هذه المقولة ذكرها الذهبي وابن تيمية والغزالي وغيرهم بل إن بعض علماء المسلمين ألفوا كتبًا في بيان حالهم وسوء معتقدهم، هؤلاء أجمع

المسلمون على كفرهم والقاضي عياض المالكي رحمه الله في كتابه ترتيب المدارك نقل إجماع أهل الإسلام على أن هؤلاء يعاملون معاملة الزنادقة المرتدين.

(ويقال أيضًا بنو عبيد القداح الذين ملكوا المغرب ومصر في زمن بني العباس كلهم يشهدون ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ويدعون الإسلام ويصلون الجمعة والجماعة فلما أظهروا مخالفة الشريعة في أشياء دون ما نحن فيه أجمع العلماء على كفرهم وقتالهم وأن بلادهم بلاد حرب وغزاهم المسلمون حتى استنقذوا ما بأيديهم من بلدان المسلمين) نعم وكان هذا بقيادة صلاح الدين الأيوبي.

(ويقال أيضًا) هذا الوجه السادس.

(إذا كان الأولون لم يكفروا إلا أنهم جمعوا بين الشرك وتكذيب الرسول ﷺ والقرآن وإنكار البعث وغير ذلك فما معنى الباب الذي ذكر العلماء في كل مذهب باب حكم المرتد وهو المسلم يكفر بعد إسلامه ثم ذكروا أنواعًا كثيرة كل نوع منها يكفر ويحل دم الرجل وماله) هذا الوجه يعود إلى أصل مهم ينبغي لطالب العلم أن يستحضره وهو أن أرباب المذاهب الفقهية المعروفة هم على عقيدة أهل السنة والجماعة، فالإمام أبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد هؤلاء جميعًا على عقيدة أهل السنة والجماعة، خالفهم المتأخرون من أتباعهم فأخذوا عنهم الفروع وتركوهم في الأصول بل حتى أتباع هؤلاء الأئمة كان أكثرهم على عقيدة أهل السنة والجماعة، أما الأئمة الأربعة فإن أبا حنيفة رحمه الله له كتاب اسمه الفقه الأكبر وهو في تقرير عقيدة أهل السنة والجماعة ومالك رحمه الله جمع بعض المعاصرين ما تفرق من كلامه في تقرير عقيدة أهل السنة والجماعة في أبواب الدين في رسالة مستقلة أو في موضع مستقل جمع ما تفرق من كلامه من تقرير عقيدة أهل السنة والجماعة في أبواب الدين في موضع واحد أو في رسالة واحدة، الإمام الشافعي رحمه الله له أكثر من رسالة في بيان معتقده وقد رويت عنه بأسانيد فقد ذكر ابن القيم في كتابه اجتماع الجيوش الإسلامية رسالة الشافعي في الاعتقاد وكذا أيضًا الإمام اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ذكر رسالة للشافعي في الاعتقاد المقصود أن الأئمة الأربعة هم على عقيدة أهل السنة والجماعة، المتأخرون من أتباعهم أخذوا عنهم في الفروع لكنهم فارقوهم في الأصول أتباع هؤلاء الأئمة أكثرهم على عقيدة أهل السنة وقد ألفت كتب ورسائل في بيان موقف أتباع هؤلاء الأئمة من توحيد العبادة ومن مظاهر الشرك، فكتبت رسالة جيدة في بابها اسمها جهود أئمة الحنفية في إبطال عقائد القبورية كتبها الشيخ شمس الدين الأفغاني رحمه الله وهي في ثلاث

مجلدات كبار تتبع فيها أقوال الحنفية من أئمة التفسير والحديث والفقه مما نقضوا به عقائد القبورية وأصول في القبورية، المالكية رحمهم الله في رسالة اسمها جهود المالكية في تقرير توحيد العبادة وفيه أيضًا كتاب آخر جهود الشافعية في تقرير توحيد العبادة أما المتأخرون من أتباع هؤلاء الأئمة ممن خالفوهم في الأصول فإن ما أحدثوه من المخالفة لا ينسب لهؤلاء الأئمة ما وقع فيه المتأخرون من الحنفية أو المالكية أو الشافعية أو الحنابلة فإنه لا ينسب للإمام أبي حنيفة ولا لمالك ولا للشافعي ولا لأحمد، وقد كتب اسمه براءة الأئمة الأربعة من المبتدعة، هذه المقدمة مهمة جدًا لأن بعض المروجين للشرك ينسبون مظاهره ووسائله إلى الأئمة إلى أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد وهذا ليس بصحيح.

(إذا كان الأولون لم يكفروا إلا أنهم جمعوا بين الشرك وتكذيب الرسول ﷺ والقرآن وإنكار البعث وغير ذلك فما معنى الباب الذي ذكر العلماء في كل مذهب باب حكم المرتد وهو المسلم يكفر بعد إسلامه ثم ذكروا أنواعًا كثيرة كل نوع منها يكفر ويحل دم الرجل وماله حتى أنهم ذكروا أشياء يسيرة عند من فعلها مثل كلمة يذكرها بلسانه دون قلبه أو يذكرها على وجه المزح واللعب) وقد ذكر بعض علماء الحنفية والشافعية والمالكية ألفاظًا من هذا يكفر صاحبها إذا قالها فقد ذكر أحد أئمة الحنفية في رسالة له اسمها ألفاظ الكفر أن من أبدل لفظ أهل الجنة بأهل النار في قوله سبحانه ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا ...﴾[الأعراف:٤٤] يقول بدر الدين الرشيد الحنفي في رسالة له اسمها ألفاظ الكفر فلو أبدل أهل الجنة بأهل الناس فإنه يكفر، وذكر ابن حجر الهيثمي الشافعي في كتابه الإعلام بقواطع الإسلام أن من قال لو شهد عندي الأنبياء أو الملائكة بكذا وكذا ما صدقتهم فإنه يكفر، وذكر أيضًا تاج الدين المعالي الحنفي في رسالة له بعنوان ألفاظ الكفر لو أنه شرب الخمر فقال بسم الله فإنه يكفر، المقصود من إيراد هذه الأقوال أن من قال كلمة الكفر فإنه يكفر ولو كان يشهد ألا إله إلا الله ويقيم شعائر الإسلام والأمر الثاني وهو الذي أشار إليه الشيخ أن الإنسان يخرج من الدين بكلمة يسيرة يعني بكلمة قليلة لكنها عظيمة في ما تؤول إليه.

(ويقال أيضًا الذين قال الله فيهم ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا ...﴾[التوبة:٧٤]) هذا الوجه السابع في الرد على الشبهة السادسة وهي الذين قال الله عز وجل فيهم ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلامِهِمْ ...﴾[التوبة:٧٤] ذكر المفسرون عند هذه الآية سبب نزولها فقيل إنها نزلت في الجلاس بن سويد بن الصامت أنه قال: لو كان ما يقوله محمد من الحق

لكنا أشر من الحمر، فدعاه النبي ﷺ فحلف أنه ما قال فأنزل الله عز وجل هذه الآية ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ...﴾[التوبة:٧٤] وقيل إنها نزلت في عبد الله بن أبي بن سلول أنه قال للأوس ما مثلنا ومثل محمد ﷺ إلا كقول القائل سمن كلبك يأكلك فأنزل الله عز وجل هذه الآية، وقيل أنها نزلت في طائفة من المنافقين قالوا كفرًا وحلفوا أنهم لم يقولوه فأنزل الله عز وجل فيهم هذه الآية، فأنت ترى أن الله عز وجل حكم على هؤلاء بالكفر وقد قالوا كلمات قليلة فكيف بمن يعبد غير الله ويدعي فيه الألوهية ويصرف له شيئًا من حقوق الألوهية.

(الذين قال الله فيهم ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلامِهِمْ ...﴾[التوبة:٧٤] أما سمعت الله كفرهم بكلمة مع كونهم في زمن رسول الله ويجاهدون معه ويصلون معه ويزكون ويحجون ويوحدون وكذلك الذين قال الله فيهم ﴿... قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ * لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ...﴾[التوبة:٦٥-٦٦]) وهذه الآية أيضًا أوردها المؤلف كالآية التي قبلها في بيان أن هؤلاء قالوا كلمات قليلة لكنها كانت سببًا في الحكم عليهم بالكفر فهؤلاء الذين في الآية الثاني ماذا قالوا؟ قيل أنها نزلت في طائفة قالوا عند مسيرهم لغزوة تبوك: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونًا ولا أكذب ألسنًا ولا أجبن عند اللقاء يعنون النبي ﷺ وأصحابه، وهذه كلمات قليلة وقيل أنها نزلت في طائفة قالوا عن النبي ﷺ: يرجو هذا الرجل أن يفتح قصور الشام وحصونها هيهات هيهات فنزلت هذه الآيات في الحكم عليهم بالكفر، وقيل أنها نزلت في رجل قال عن النبي ﷺ: إن محمدًا يزعم أن ناقة بني فلان في وادي كذا وكذا في يوم كذا وكذا ما أدراه ما الغيب فأنزل الله عز وجل فيه هذه الآيات، وهذه الكلمات التي ذكرها هؤلاء كلمات قليلة لكنها كانت سببًا في الحكم عليه بالكفر.

(فهؤلاء الذين صرح الله فيهم أنهم كفروا بعد إيمانهم وهم مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك قالوا كلمة ذكروا أنهم قالوها على وجه المزح فتأمل هذه الشبهة وهي قولهم تكفرون المسلمين أناسًا يشهدون ألا إله إلا الله ويصلون ويصومون ثم تأمل جوابها فإنه من أنفع ما في هذه الأوراق ومن الدليل على ذلك أيضًا ما حكى الله تعالى عن بني إسرائيل مع إسلامهم) هذا الجواب الثامن.

(ومن الدليل على ذلك أيضًا ما حكى الله تعالى عن بني إسرائيل مع إسلامهم وعلمهم وصلاحهم أنهم قالوا لموسى ﴿... اجْعَل لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ...﴾[الأعراف:١٣٨] وقول أناس من الصحابة اجعل لنا ذات أنواط فحلف النبي ﷺ) هذا جاء عند الترمذي أن النبي ﷺ مر وأصحابه على سدرة يعكف عندها المشركون وينوطون بها أسلحتهم يعني يعلقون بها أسلحتهم طلبًا للبركة فقال

الصحابة اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال النبي ﷺ (الله أكبر إنها السنن لقد قلتم كما قال أتباع موسى لموسى ﴿... اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ...﴾[الأعراف:١٣٨]).

(فحلف النبي ﷺ أن هذا نظير قول بني إسرائيل لموسى اجعل لنا إلهًا ولكن للمشركين شبهة يدلون بها عند هذه القصة وهي أنهم يقولون إن بني إسرائيل لم يكفروا بذلك وقال الذين قالوا للنبي ﷺ اجعل لنا ذات أنواط لم يكفروا فالجواب أن تقول إن بني إسرائيل لم يفعلوا ذلك وكذلك الذي سألوا النبي ﷺ) هذا استطراد المؤلف رحمه الله وهو أن هؤلاء الذي طلبوا من النبي ﷺ لم يفعلوا ذلك فلم يعبدوا غير الله ولهذا لم يكفروا.

(وكذلك الذين سألوا النبي ﷺ لم يفعلوا ذلك ولا خلاف أن بني إسرائيل لو فعلوا ذلك لكفروا وكذلك لا خلاف في أن الذين نهاهم النبي ﷺ لو لم يطيعوه واتخذوا ذات أنواط بعد نهيه لكفروا وهذا هو المطلوب، ولكن هذه القصة تفيد أن المسلم بل العالم قد يقع في أنواع من الشرك لا يدري معناها فتفيد التعلم والتحرز ومعرفة أن قول الجاهل التوحيد فهمنا أن هذا من أكبر الجهل ومكائد الشيطان) ولهذا ينبغي الاهتمام بعلم التوحيد وتدريسه ودراسته ونشره وتعليمه ولا يقال إن التوحيد أن الناس يفهمون التوحيد ويعرفون التوحيد أو لا يحتاجون إلى التوحيد بل التوحيد هو أعظم حق على العباد وهو الذي بتحقيقه يدخل العبد الجنة وينجو من النار ولهذا ينبغي الاهتمام بعلم التوحيد لأن بعض الناس قد يقول ما قاله الشيخ هنا أن طائفة يقولون التوحيد فهمناه وعرفناه أو لا يحتاج إلى علم التوحيد وهذا ليس بصحيح بل أفضل العلوم وأشرف العلوم وأفضل ما دعا إليه الداعون هو علم التوحيد.

(وتفيد أيضًا أن المسلم المجتهد إذا تكلم بكلام الكفر وهو لا يدري فنبه على ذلك وتاب من ساعته أنه لا يكفر كما فعل بنوا إسرائيل والذين سألوا النبي ﷺ وتفيد أيضًا أنه لو لم يكفر فإنه يغلظ عليه الكلام تغليظًا شديدًا كما فعل رسول الله ﷺ وللمشركين شبهة أخرى) طيب نقف عند هذا وبهذا نكون انتهينا من الشبهة السادسة والجواب عليها من ثمانية وجوه.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد..